المسكوت عنه الاجتماعي في الشعر العباسي

شيماء عبد كاظب/ جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

أ.د. حازم علاوي عبيد الغانمي/ جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

يَعالج البحث موضوعا مهما ندر من كتب فيه لانه يستند الى فكرة النظر فيما وراء النص مما يستدعي الغوص في افكار الشاعر وسبر أغوار خلجاته وأحاسيسه ومشاعره فأخذ البحث بجوانب الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ثم كانت وقفة التأمل العميق من النص الشعري في تلك المدة وما كانت صدور الشعراء تخفيه في خطاباتهم عند مجالس الخلفاء او ما تجود به القرائح من خطابات نفسية تُفضح عن تقرب الشعراء وسط حضور الامراء وتجلي اساليب الخطاب وبلاغته ولغة صياغته. وخرج البحث بنتائج تكشف عن قوة سبك العبارة واساليب الشعراء في تغطية اغراضهم في عبارة المدح والمقال، فضلا عن إن المسكوت عنه في الشعر العباسي اتخذ مناحٍ عديدة تكاد تصل الى محصلة مفادها أنّ اغلب الاغراض الشعرية كانت تنطوي على مسكوتٍ عنه أراد الشاعر توصيلَه للآخر.

المقدمة:

الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد...

إنَّ النص الأدبي هو مساحة فكرية يوظفها الأديب للوصول الى المعايير النصية او الاشكاليات الفنية فيعد بمنزلة الاساس الذي تبني عليه الفكرة، وتعددت قراءات النص والتقنيات التي تظهر ما تحتويه النصوص من افكار وعواطف وماورائيات، فتحليل معاني النص تبقى بحاجة الى كشف ثمارها والغوص في اعماقها ولاسيما أنَّ الادب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالذات الشاعرة التي تُعد جزءا من المجتمع، وتعد قراءة المكسوت عنه من ابرز القراءات التي تظهر ما اضمرته نفوس الشعراء من خلال ابراز المعنى الخفي الذي جاءت به قراءتهم في واقع اجتماعي ساد المجتمع العباسي.

وجاءت هذه الدراسة لقراءة ما وراء النص محاولة الكشف عن جوانب الظِل في الحياة اجتماعية.

وتم تقسيم الدراسه إلى مبحثين تسبقهما توطئة وكان المبحث الاول بعنوان توظيف المسكوت عنه الاجتماعي في التعبير عن آفات المجتمع ومنها الانحلال الخلقي وتضمن المبحث الثاني: توظيف المسكوت عنه الاجتماعي في التعبير عن القيم التربوية والروحية في المجتمع ومنها الصبر والقناعه.

وقد دعت ضروره البحث ان يتبع البحث التحليل في استنطاق النص وتحليل آراء الشاعر .

ولا أدعي الكمال في عملي هذا بل اترّقب تصويب اخطائي، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الكريم محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتخبين.

والله ولي التوفيق

عنوان البحث: المسكوت عنه الاجتماعي في الشعر العباسي

توطئة:

تعتمد المجتمعات في بناء انظمتها وسير قوانينها على التركيب المجتمعي واستقراره، ابتداءً من الأسرة التي تعد النواة الاولى في المجتمع بتركيبها وصولا إلى المؤسسات العامة للدولة.

وكان للدكتور محمد أركون رأيٌ أن دراسة المجتمع وفق المنظور الأنثروبولوجي الذي يقوم على فحص الفئات البشرية والمقارنة بينهما من الجوانب الثقافية والسياسية والدينية والاجتماعي، لان المجتمع من وجهة نظره ليس فئة اجتماعية واحدة إنَّما هو عبارة عن مجموعات اجتماعية مختلفة في اغراضها السياسية والايدلوجية.( )

وبما ان الادب صورة لما يجري في الحياة والشعر على وجه الخصوص، والشعر ديوان العرب سجل كل شاردةٍ وواردةٍ إذ وجدوا فيه المتنفس الذي من خلاله يعبرون عن همومهم وآلامهم وأفراحهم.

فالعصر العباسي عصر اتسعت فيه آفاق الحياة وتنوعت، وقد ادى هذا الاتساع والتنوع الى تسجيل انماط الحياة بكل فروعها السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية، وسوف نسلط الضوء على الحياة الاجتماعية في تلك الحقبة لتفسير المناخ الاجتماعي وصلته بالشعر الذي يعد المرآة لعكس ذلك الواقع، فلا تخلو المنظومة اجتماعية من تشكيلات وتشعبات سيكشف لنا المسكوت عنه تلك الامور التي لم يبح بها الشعراء آنذاك، فاستعملوا الاضمار والسكوت عنها، فالنص الأدبي يعمد للصمت تاركاً فراغات لم يبح بها وذلك لانه "يقع تحت سلطة التراث واللغة والدين والجنس والتقاليد الادبية... فضلا عن سلطة المجتمع والقبيلة والادب والاعراف الاجتماعية، وتمارس هذه السلطات العنف المعلن والمبطن ضد النص.( )"

المبحث الاول: توظيف المسكوت عنه الاجتماعي في التعبير عن آفات المجتمع ومنها الانحلال الخلقي:

تَعد السلطة الاجتماعية اكثر وقعاً في نفوس الشعراء، والشعر الاجتماعي يؤدي وظيفته في إطاره الاجتماعي، وقد اعتمد الشعراء في التعبير عن الحياة الاجتماعية على المسكوت عنه والذي يعد في تلك الحالات اختزالاً (للمحرم والممنوع والمقموع.( )(

وسنقف في هذا المبحث على نماذج تطبيقية من القمع الاجتماعي أوضحتها قراءة المسكوت عنه، و من هؤلاء الشعراء الذين صدحت أصواتهم أبو دُلامة (زند بن الجون (161هـ)، قال( ): " بحر الكامل"

إنْ كنتَ تبغي العيشَ حلواً صافياً

فالشِّعرُ اعزبْهُ و كن نخّاساً

تنل الطرائفَ من طراف نُهَّدِ

يُحْدِثْنَّ كلِ عشيةٍ أعراساً

والريحُ فيما بين ذلك راهنٌ

سَمْحاً ببيعِكَ كنتَ أو مكَّاساً

دارتْ على الشَّعراء حُرفَةُ نوبةٍ

فتجرَّعوا من بعدِ كأسٍ كاسا

وتسربلوا قُمُصَ الكساد فحاولوا

بالنَّخسِ كَسْبَا يُذهِبُ الإفلاسا

يدعو الشاعر في أبياته إلى ترك الشعر وامتهان النخاسة، وقد أنف العرب من مهنة النخاسة على الرغم من رغبتهم في اقتناء الرقيق والجواري وتشير هذه الإبيات الى بوح داخلي يعبر عن "وحي نابع من الضمير أو من صميم وجود الكائن الحي في لحظة خارقة يتصل فيها بالمطلق.( )"

فالصورة التي نقلها الشاعر مجسدة للبؤس الاجتماعي فإذا كان الشاعر الذي يدخل في ظل بلاط الدولة العباسية لا يحصل الى كرامة العيش ولا الرزق فكيف بحال الناس المعدمة من ذوي الطبقات الفقيرة.

وإذا كان الشاعر صاحب المكانة والذي تحتفل لدلادته القبائل فهو لسان حال الامة وفي بلاط الدولة ويتحدث عن هذا الواقع فالشاعر أراد رسمٌ لصورة للمجتمع فالمال اساس ذلك التفاضل من جانب ومن جانب آخر سوء الوضع الاجتماعي بسبب تدهور الاوضاع الاقتصادية.

أما أبو العيناء (ت:283) فهو يصوّر تغيير الموازين الاجتماعية، قائلاً: "الكامل"

إنَّ الغَنِّي إذا تكلَّم كاذباً

قَالوا صَدَقْتَ وما نطقْتَ مُحالا

وإذا الفقيرُ أصاب قالوا لم تُصب

وكذبت يا هذا وقلت ضلالا

إن الدراهم في المواطن كلها

تكسو الرجال مهابة وجلالا

فهي اللسان لمَن أراد فصاحة

وهي السِّلاحُ لمَن أراد قِتالا

يشير الشاعر في نصه إلى إقامة موازنة بين (الغنى والفقر)، وما هو مقياس التفاضل في ذلك العصر من خلال توظيفه لكلمتي (اللسان والسلاح).

فالدال اللسان، والمدلول عليه المال (الدراهم(

والدال السِّلاح، المدلول عليه القدرة.

فلم يعدْ هناك قيمة للعلم بل أصبح المال هو القيمة التي تقاس فيها قيم المجتمع؛ فالقيم التي أشارت إليها الدوال اعلاه(اللسان – السلاح) كانت أكثر دلالة من الالفاظ المباشرة، فالسلطة التي تمتلكها الدوال اللغوية في النصّ لها من القدرة ما يجعلها تقول أكثر مِمَّا تدلّ عليه ألفاظها المباشرة.( )

فعدم عدالة السلطة الحاكمة تؤدي الى خلل في البنية الفكرية والبنية الاجتماعية والاقتصادية ما يؤدي إلى تفكك المجتمع وتكوين طبقية وكل يبحث عن إيجاد منفذ أو طريق لحياة مزدهرة فينتج عنه الصراع المجتمعي.

ولعل الشاعر وخز ضمير الامة بأن الرقيق وامتهان النخاسة وسلب حرية المرء لهي ضالة كبرى إلا ان المجتمع سكت عن حق الحرية التي اباحها الله لعبده. وفي شاهد آخر نجد فكرة تكاد تكون ساخرة عبّر خلالها الشاعر أسامة بن منقذ (ت:584هـ)، عن تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي في بغداد، إذ يقول :( )

" البسيط"

وَصَفُوا لي بغدادَ حيناً، فلمّا

جئتُها، جئتُ أحسنَ البُلدانِ

منظرٌ مبهجٌ وقومٌ سراةٌ

قد تَحَلّوا بالحُسنِ والإحسانِ

ليس فيهم عيباً سوى أن في

كلِ بنانٍ علاقةَ الميزانِ

وسمِعْنا، وما رأينا سِوَى أمْـ

ـمِ ظلومٍ فيها مِنَ النِّسوانِ

وهي جنيةٌ كأقبحِ ما شوْ

وهَهُ رَبَّنا مِنَ الغيلان

قدَّم الشاعر في النص مسكوتاً عنه أو ضَحه الرمز، إذ رمز الشاعر للظلم عن طريق(أمّ ظلوم)، هذه المرأة العجوز، فلم يجد الشاعر إلا امرأة قبيحةٌ مشوهةٌ أشبه بالغيلان، وبالإشارة إلى وصفها فقد لمّح للمتلقي ما وراء تلك الحال المزرية، فملامح تلك الشخصية جاءت عِبر الأحداث، والتي تضمنت الأفعال والمواقف، فالشخصية لا يمكن معرفة سماتها إلاّ عبّر تفاعلها مع الواقع والمواقف( )، فقلم الشاعر عادة تتلاعب باللغة ليسلك طرائق متنوعة

للبوح بما تُخفيه نفسه، لأن الشاعر سيوف يكون من خلالها " في منطقة أكثر تحرراً من تأثيرات المناخ الاجتماعي لقدرته الفائقة في التحكم بدوافعه و ميوله التي تواجه معارضة في الواقع، والتي يتعذر التعبير عنها بالصيغ التقديرية المباشرة من خلال لعبة اللغة"( )، وكأن الشاعر يريد الأشارة الى مستويين الخليفة وبلاطه المنعم والطبقة الفقيرة المعدمة.

وتطالعنا أبيات أخرى تشير الى الانحلال الخلقي، وانعدام القيم الأخلاقية في ذلك العصر، ومنها ما قاله ديك الجن( ): "الطويل "

أخا الرأي والتدبير لا تركبْ الهوى فأن الهوى يُرديك من حيثُ لا تدري

ولا تثقن بالغانيات وإنْ وفَتْ

وفاء الغواني بالعهودِ من الغدرِ

ان ظاهرة المجون لا تدل على أنها ناحية حضارية في المجتمع العربي؛ إذ ليس الحضارة تهتكاً واستهتاراً بالقيم والموروث الاجتماعي لأية أمّة، والإعراض عن عاداتها و تقاليدها ومثلها والانجراف في تيار اللهو، والعبث، والمناداة به وإشاعته، لأن ذلك مما يتنافى مع الروح العربية الاسلامية( )، ولا يعني شيوع تلك الظاهرة في المجتمع العباسي، إنها كانت مقبولة لدى جميع فئاته، وإنما كانت تلقى المعارضة من علماء الدين، وأفاضل المجتمع، وتلقى كل التعنيف والتجريح منهم( )، فالشاعر يشير في نصه الى ظاهرة مرفوضة من قبل المجتمع، أمّا المعنى الخفي و المراد الوصول إليه، أو غاية الشاعر أنه يعزو الى هؤلاء القيان الانحلال الخلقي، والذي كان من العوامل الفاعلة التي أدت الى ضعف الدولة العباسية( )، إنّ قراءة النص أبرزت الانحلال الخلقي، وما كان له من أثر في إضعاف الدولة، فيجدر بنا الوقوف عند المعنى الأسمى لقراءة النص، وملئ الثغرات والفجوات التي تكتظ بها النصوص والخطابات الأدبية( )؛ ومن ذلك نلحظ المعرّي كذلك قد انتقد المجتمع من خلال الإشارة الى الرذائل الاجتماعية، فيحاول معالجة تلك الأمراض، وتلك الآفات التي يرى فيها الخطر الأكبر الذي يهدد ذلك المجتمع، فيقول( ) "الوافر"

أطاعوا ذا الخداع و صدّقوه؛

وكم نصَحَ النصيحُ فكذّبوه

رب سائل يسأل ما المسكوت عنه في البيت أعلاه؟ إذ إنّ الشاعر قد أشار بصورة مباشرة الى آفة الكذب والنفاق، فقد رأى الناس "من حوله يمارؤون ويراوغون ويصغون الى كذب المنافق وينفرون من المرشد الصادق"( )، فقد استعان الشاعر بلغة الإشارة من خلال لفظتي (الكذب) و(الصدق)، فالإشارة شيء يدرك بالحواس، كما هي الإشارة إلى وجود النار؟ الدخان، فهذا البيت حاول فيه الشاعر عرض صورة للحياة الاجتماعية في عصره محاولاً محاربة هذه الرذائل من خلال عرضه لها؛ فالمسكوت عنه هو محاربة الامراض من خلال عرض الشيء والتأكيد عليه.

وهناك من اتخذ من الخمرة وسيلة للهروب من الواقع في محاولة لنسيان الواقع المرير؛ إذ جعلها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الرفض والإدانة لكل ما في الحياة من مظاهر لا يمكن احتمالها، ومن هؤلاء الشعراء بشار بن برد (ت: 167ه) والعطوي (ت: 267ه)، إذ يقول الأول( ): "الكامل"

لَمّا رأيتُ الحَظَّ حظَّ الجاهلِ

وَلَم أَرَ المغبون غير العاقلِ

رَحَّلتُ عنساً من شراب بابل

فبت من عقلي على مراحلِ

هنا الشاعر يشير إلى المجتمع الذي لم تكن مقاييسه عقلية إذ يرى الشاعر أن الحظ للجاهل .

أما الثاني، فيقول( ): " البحر الطويل "

أحمدُ الله صارتْ الخمر تأسوا

دون اخواني الثقات جراحي

يشير الشاعران في الأبيات المذكورة إلى الخمرة ليس و صفاً ، و إنّما كوسيلة استعان بها كلا الشاعرين للهروب من الواقع، ذلك الواقع الذي كان يسود المجتمع، فقد أوضحت الخمرة عجز الشاعرين عن تحمل ما كان سائداً، إذ بلغا إلى مستوى أن كل منهما فضّلها وأعدّها متنفساً لمكبوت النفس البشرية، فعند ارتشاف الخمرة يَفقد العقل سيطرته، وهكذا لا يحاسبهم المجتمع عن ما يبدر منهما لأنهما فاقدي العقل كما وصفوا أنفسهم، وقد التجأ الكثير من الشعراء لدواعٍ خاصة في حياتهم كأن تكون سياسية، فسّرُ بها سخطاً على السياسة أو ثورة على الواقع، أو استهانة بكل شيء، أو بسبب إخفاق و محنة نزلت به( )، ومن ثمَّ يكون الشاعر في مأمن لأنه فاقد العقل فلا يحاسب من جهة السياسة. وأما عن ظاهرتي البخل والتسول فقد كانتا من أبرز الظواهر الاجتماعية التي أكّد عليها الشعراء بصورة ساخرة لغرض رسم صورة المجتمع؛ فهذا بشار بن برد يقول( ): "البحر الطويل "

يسمون بالسؤال في كل مواطن

وإنْ كان فيهم تافهٌ و جليلُ

فسّماهم الزّوار ستراً عليهم

فأستاره في المجتدين سُدولُ

أراد الشاعر توضيح الفوارق الطبقية والاجتماعية، وهذا ما شوهد في بغداد في زمن المنصور حينما قَدِم رسول الروم الى بغداد( )، فكان من خالد البرمكي أنْ سمى هؤلاء المتسولين بالزّوار، لأنه أستسقى ذلك الاسم و فيهم الأحرار والشرفاء( )، فنجده أشار إليهم بلفظة الزوار كي يُبعد عنهم ذلَّ ما لَحِق بهم من تقلبّات الأحوال، فقد يكون ذلك نتيجة دوافع ذاتية تخص طبيعة الشاعر من خلال ما يتعرض له من أحداث و نكبات، إذ فضّلوا الصمت على الخوض في الخطاب المباشر؛ فالخطاب المباشر ربما يجعلهم في مواجهة مباشرة مع السلطة لذلك التجأ الشعراء الى الصمت ولغة المسكوت عنه.

والمسكوت عنه هنا الواقع المرير الذي تعيشه الطبقة الفقيرة في حين كانت الطبقة الحاكمة كانت تعيش بترفٍ كبير.

ولم تكن رؤية مسلم بن الوليد (ت: 208ه) مغايرة لرؤية بشار إذ يعبر أيضاً بقوله :

" البحر الطويل"

وقائلٍ ليس له همةٌ

كلا، ولكنْ ليس له مالُ

لا جدة ينهضُ عزمي بها

والناسُ سؤالٌ وبّخّالُ

يشير الشاعر في نصه إلى انقسام الناس بين متسول وبخيل، فجاءت لغة المسكوت عنه لتعبر بصورة أوسع من المباشرة فالشاعر أراد عكس صورة لذلك الواقع الاجتماعي، وما آلت اليه طبيعة المجتمع من انحدار و تدهور في الجانب الاقتصادي، ومن ثمَّ عُكس على الاجتماعي، مستعيناً بلغة المسكوت عنه، يراد بها الارتقاء بالخطاب ضمن مساحات أوسع من لغة التصريح( ). أما أبو نؤاس (ت: 199ه) فقد أ كثَر في ميله الى الشعبية، وبخاصة في هجائه الذي يصل فيه الى درجة السباب الذي يحدث بين المتسابين في الأزقة الشعبية( )، قائلاً( ): "مجزوء الرمل"

يا كتاباً بطلاقٍ

يا عزاءً بمصابهْ

يا رغيفا رده البقا

لُ يبساً وصلابه

قد وصِفَ أبو نواس بعض معاصريه بأنه كان من أظرف الناس منطقاً( )، فمالَ في شعره إلى تحقيق التسلية والترفيه الذي يتطلبه نوع الحياة اللاهية التي كان يعيشها، و كان حاضر البديهة في صقل ما يقول من طرائف يستمد أفكاره من بيئته( )؛ لسنا بمعرض الحديث عن الشعر الشعبي، أو المقارنة بين نتاج الشعراء جيده من رديئهِ، و لكنّا نستعرض بعض الأبيات بغية الوصول إلى مجتمع تلك الحُقْبَة، و ما كان عليه ذلك الواقع في خلال قراءة المسكوت عنه، فاستدعاء الشاعر لـ (صورة الخبز) يقول يا رغيفا... فيه مضمون من المضامين التي تخص تصوير ظروف الحرمان شعريا من خلال رمزية رغيف الخبز والذي وصفه بانه يابسا اي خلوه من جودة الطعم ليصور لنا واقع الحال من خلال تلك الصورة الساخرة واستدعائة، وليس بالضرورة أن تكون هناك مسافات او دلالات قطعية مع المرجعية التي يستدعيها الشاعر لإنتاج الواقع، لأنها اي المرجعية المستدعاة تنطوي بذاتها على بعدٍ تأثيري في النص تثير في ذهن التلقي الصورة المبتغاة ايصالها بوصفها ذاكرة تصويرية لها نصيبها من الايحاء .

ولم يكتف الشعراء بتوظيف المهن بل أخذوا يوظفون الأغراض الشعرية ومنها الهجاء ، فالهجاء من أوسع الاغراض الشعرية تأثراً واستجابة لشدة ارتباطه بالنفس ونزعتها( )، و لقوة تأثيره في المتلقي؛ إذ يثير انتباهه أكثر مما يثيره المديح، قال دعبل الخزاعي (ت:246هـ): "من المنسرح"

قاض يرى الحد في الزنا ولا

يرى على من يلوط من بأسٍ

فالحمدُ لله كيف ذهب الـ

عدل و قل الوفاء في الناسِ

أميرنا يرتشي و حاكمنا

يلوط و الرأس شر ما راسِ

يشير الشاعر في نصه إلى شرح المأساة القائمة بذهاب العدل وقلة الوفا، والأمير المرتشي، والحاكم اللواط وعلى رأسهم القاضي الذي لا يحكم بالعدل، ويخالف التعاليم الإسلامية في بعض الحدود التشريعية، وكأنه يرى الحد في الزنا ولا يرى حداً في اللواط ... فنقل لنا الشاعر في النص الغائب أو بلغة المسكوت عنه، صورة توترية وجودية سوداوية جماعية لواقع الدولة العباسية، والمجتمع العباسي آنذاك، ومن الواقع المزري والذي رضخ له المجتمع أن صح التعبير ليس هماً فردياً، أو حاجات وقتية يمكن تلافيها أو معالجتها بسرعة، فهذه الصورة المكشوفة في النص الشعري هي مكبوتة في الواقع، لا يمكن التفوه بها، فمجتمع يرضى بقاضي قضاة قد عُرِف عنه الفسق وهوى الغلمان، أي مجتمع هذا؟ فقد عكست لنا هذه الأبيات انحطاط القيم في المجتمع آنذاك، فما صّرح به الشاعر وسكت عنه المجتمع هو نقد السلطة الحاكمة عن طريق نقد المجتمع.

ويشير سليم بن يزيد العدوي الى رضوخ المجتمع رضوخ الأعمى، قائلاً( ): "من البسيط"

يا للرجال لداءٍ لا دواء له

وقائدٍ ذي عمى يقتادُ عميانا

نلحظ في ظاهر البيت صورة ساخرة لقائد أعمى يقتاد عمياناً، أو هي "محاولة لقلب السهم الى الصياد، وخلط المعلن مع المسكوت عنه، لأنها تقوم على إظهار المضمر، إذ يتبادل الظاهر والباطن الأدوار، ويصبح الضمني صريحاً بينما يتحول الصريح الى غطاء هش تطويه القراءة وتلغيه لكي يكون العمق هو السطح، إذ لا سطح ولا عمق، ولكن النص مكشوف بالقراءة التشريحية"( )، فصورة القائد الاعمى الذي يقتاد العميان قد اظهرت ما اضمره الشاعر في خليجات نفسه من ثورة ضد المجتمع الذي ارتضى الذل والهوان والرضوغ لتلك الظروف "ومن هنا كان للغة الشعر خصوصية في طريقة استعمال المفردة جرساً أو بنية، ويتم توظيف هذا الاستعمال من أجل ايصال الانفعال من جهة، والتأثير في المتلقي من جهة أخرى"( )، فلو لم يكن المجتمع أعمى لما سمع لذلك القائد الأعمى بقيادته، والوصول الى ذلك الواقع المزري. ويطلعنا ابن سكرة الهاشمي (ت: 385ه) بأبيات ترسم لنا صورة القمع والاضطهاد إذ قال( ): " الوافر"

مررتُ على كلابِ الصّيد يوماً

و قد طرح الأجير لها سِخالاً

فأضلعها و أطلعها بطاناً

تهادى في قلائدها دَلالا

فلو أني وَ مَن تحويه داري

كلابُكَ لم نخفْ أبداً هُزالاً

يخبرنا الشاعر بما يجري في مجتمعه من قمع واضطهاد، وحجب ضوء النهار عنهم بألف جدار، وإسكات صوت التحرر الفكري والاجتماعي بالنار وسياط الجوع والفقر، فهذه الأبيات وصفت كلاب الصيد وهي تقتات على قوت الفقراء، فاليأس الذي كابده الشاعر قد دفعه الى ان يضع نفسه وعياله في مقارنة مع كلاب الصيد من خلال قوله: "الوافر"

فلو أني وَ مَن تحويه داري

كلابُكَ لم نخفْ أبداً هُزالاً

فالمسكوت عنه هو تلك الفوارق الاجتماعية التي تؤدي الى التمايز الطبقي وعدم العدل والمساواة بين الناس إدى إلى ظهور الحاجة بين الناس وظهور الطبقة الفقيرة، فالثروة غير موزعة توزيعاً عادلاً ولا متقارباً، والحدود بين الطبقات واضحة كل الوضوح فجنة ونار، ونعيمٌ مفرطٌ، وبؤس مفرط، وإمعان من التّرف يقابلهُ فقدان في القوت.( )

المبحث الثاني: توظيف المسكوت عنه الاجتماعي في التعبير عن القيم التربوية والروحية في المجتمع :

تُعد الفيم التربوية والروحية من أهم القيم التي تبنى عليها المجتمعات وقد اعتمد الشعراء لغة المسكوت عنه في قراءة تلك القيم ومن تلك القراءات مانجده في أبيات المعري (ت: 449ه) بفكرة الموت لانتقاد الواقع الاجتماعي إذ يقول( ): " الطويل"

تباركت أنّ الموتَ فرضٌ على الفتى

ولو أنّه بعض النجوم التي تسري

ورُبَّ امرئ كالنسر في العزّ والعلا

هوَى بسنان مثل قادمة النسر

في النص الشعري حاول الشاعر اللجوء إلى الموت هرباً من الحياة، فـ "الموتُ راحة من الحياة والعدم من أجل النعم، وإنَّ هموده الجسم و سكونه في التراب بعد العناء الذي لاقاه في الدنيا هو الراحة الحقيقية، وهو الحقيقة الواقعة"( )، فأيُّ حالٍ دفعتْ الشاعر للتوافق مع فكرة الموت وجعله ذا قيمة، وأنه ملاذ وبديل مرضٍ، وقد استساغهُ بديلاً يائساً عن الحياة التعبة.( )

كما وتظهر لنا قراءة المسكوت عنه نقداً اجتماعياً وهو ما تمثل في أنموذج من نصوص بعض الشعراء ومنهم أبو بكر بن دريد الأزدي (ت 321 هـ)، قال( ): "الطويل"

وإنْ عايُنوا صَبْراً أديباً مهذّباً

حسيباً يقولوا إنّه لَمُخاتِلُ

وإنْ كان ذا ذهنٍ رَمَوْهُ ببْدعَةٍ

وسمَّوه زنديقاً وفيه يُجادَلُ

وإنْ كان ذا مالٍ يقولون مالُه

من السُّحتِ فقد رابى و بئس المأكلُ

وإنْ كان ذا فقرٍ فقد ذلّ بَينهم

حقيراً مِهيلاً تزدَريه الأراذلُ

وإنْ جاد قالوا مُسرفٌ ومبذر

وإن لم يَجُدْ قالوا شحيحٌ وباخِلُ

وما الناسُ إلا جاحٌد ومعاند

و ذو حسد قد بان فيه التخاتُلُ

فلا تتْرُكَنْ حقَّاً لخيفةِ قائلٍ

فإن الذي تخْشى وتحذر حاصل

وإذا انتقلنا الى المتنبي (ت 354هـ)، نلحظ قوله:( )

في الناسِ أمثلةٌ تدور حياتهُا

كَممَاتِها ومَمَاتُها كَحَياتها

هبْتُ النّكاح حِذار نسْلٍ مثْلِها

حتى وفرْت على النساء بناتِها

فإذا نظرنا الى النصين أعلاه نلحظ كلُّ واحد من هذين الشاعرين قد نظر إلى المجتمع نظرةً مغايرة عن الآخر، إذ نلمح الحكمة في ما وراء النص، فالنص الأول قد قسّم الناس إلى فئات: فمنهم الجاحد والمعاند والحاسد، على حين نلحظ الشاعر في النص الثاني قد أشار إلى أنّ الناس يحيون حياة لا معنى لها ، فهم كالأموات لذلك

كان يتخوف من إكمال حياته و هو متزوج؛ إذ يخشى أن يعيش نسله نفس ما كان يعانيه، فتوجّه الى سياسة الهروب من المستقبل، فلم يرسم للمستقبل سوى تلك الصورة، فعكست أبيات الشاعرين القمع النفسي الذي مرّوا به، إذ كشفوا وشخّصوا حالات التحَلّلِ في المجتمع. ويتساءلون: لِمَ نحن مضطهدون ومقمعون؟ إذْ أخذوا يعمدون إلى سياسة الحقد على الماضي والحاضر والهروب من المستقبل، فهذا الرأي الذي أعتمده الشعراء هو رأي العامة البائسة من الناس، و ليس عليّة القوم، فلو كان الرأي هو مجرد (ملكية شخصية) لا فائدة منها للآخرين، أو إذا كان في قمع الرأي مجرد أذىً يلحق بصاحبه فقط، لكان هناك فارق كبير بين أنْ نُسْكِتَ فرداً أو نُسكِتَ عدداً كبيراً من الأفراد، ولكن الخطورة في قمع الرأي الفردي، إنما تنحصر على وجه التحديد في إننا بذلك إنما نحرم الجنس البشري نفسه من رأي ربما أفادَ الأجيال اللاحقة، إننا قد نكون على ثقة من إنّ الرأي الذي نقمعه هو بالضرورة رأي خاطئ، فإنّ الأغلبية نفسَها قد تكون معصومةً من الخطأ، وليس من حقِ أيةِ أغلبية أنْ تتصدر حكمها للبشرية قاطبة مستبعدةً سائر الأحكام الأخرى التي قد يصدرها أفراد قلائل لهم أيضاً الحقُ في التفكير والتغيير، و إلّا لكان معنى ذلك أنها هي وحدها التي تملك الحقيقة المطلقة، وكأنما هي منزّهة معصومة عن كل خطأ .( )

فهذا ابن الرومي (ت: 283ه)، يقول( ): "بحر الخفيف"

هكذا الصخرُ راجحَ الوزن راسٍ

و كذا الذرّ سائلُ الوزنِ هاب

يشير الشاعر في نصه الى عقد مقارنة بين فئتين من المجتمع، فئة السفهاءالذين خفت عقولهم، وارتفعوا فوق الناس الى السماء، وفئة من ذوي رجاحة العقل ثبتوا في الأرض لثقل عقولهم، وتلك الحقيقة الثابتة في طفو الاجسام الحقيقية دائماً فوق سطح الماء، اما الثقيلة فهي الراسية، فهو يثبت هذه الحقيقة العلمية لارتفاع هؤلاء إنما هو هبوط وفشل( )، وليست نسبية الفهم تخص المتلقي، وإنما للنص حصته منها ففي بعض المصاديق التي يستعملها الشاعر دور في فهم الابعاد الخفية للنص، فلتوظيف الشاعر لهذهِ الحقيقة العلمية يُعد خفي أراد به ايصال ما تصبو إليه نفسه بعدم النظر للمظهر وإنما لجوهر الاشياء.

ولنقف عند العلماء وما هو موقف الشعراء منهم، والذي أظهرته لغة المسكوت عنه، فهذا أبو دلف الخزرجي، يقول( ): "مجزوء الوافر"

إذا ما سّمروا القشقا

شُ ذا العثنون والزْجرِ

لقوه بنشاراتٍ

من البندقِ والبسْرِ

وحيّوه بالآفٍ

من القّنادِر الفطْرِ

نلحظ هنا نزاعاً عنيفاً عبّر عنه الشاعر تجاه العلماء، فما هو سر هذا النزاع؟ ربما من وجهة نظر الشاعر إنَّ ذلك الموقف الساخر الذي وصفه الشاعر ما هو إلّا قراءة لأثر العلماء في قضايا العصر، سواء ما كان منها اقتصادياً أو اجتماعياً أو دينياً.

فلو كان لبعض العلماء رأي يُحترم، و يُعتد به، وكانوا أكثر وعياً وانصافاً لما وصل الأمر بالشاعر أنْ يصفهم بتلك الصورة الساخرة، فلم تكن تلك الأبيات إلّا صورة مجسّمة لحياتهم وتعبيرهم عنها، وعليه فإن التلفظ (فعل التكلم) بحسب "أوستن" أنه ليس مجرد نقل المعلومات والأخبار إلى المخاطبين، بل هو (عالم يتفاعل فيه الناس) وتبرز فيه العلاقات البشرية، بكل زخمها و حمولتها الاجتماعية والنفسية، لأن الاصل في اللغة بحسب هذا الوعي أنّها ليست مجرد أداة للتواصل، كما عرّفها سوسير) بل هي (اللغة) تضع قواعد تمتزج بصورة كبيرة مع حياة الناس اليومية، و هذا البعد التداولي في اللغة.( )

وفي نص آخر نجد الشاعر يغرق في عالم الأحلام هروباً من الواقع المرير إذ قال( ): "الهزج"

فإن أظفر بآمالي

شفيتُ غلّة الصدرِ

وألممت بأوطاني

قويَّ النهي والأمرِ

وقد تخفق فوقي عـ

زة ألوية النصر

يعبر الشاعر في نصه عن الرايات التي تخفق فوقه، فلماذا كان يحلم بوطن، وسيادة، وجاه عريض؟ فهل تلك الأمنيات كانت حلماً وهروباً من الواقع المرير، يشير(أوستن) إلى أنَّ الفعل الكلامي الصريح أو الإنجازية الصريحة التي توضح بشكل صريح والمغزى المراد من الكلام هو تطورات تاريخية لاحقة للّغة البدائية، التي تتميز بالقولات المتكونة من كلمة واحدة التي تبقى على الخفاء في المغزى المراد، ولا تصرح به (مسكوت عنه)، فمثلاً الكلمتان (ثور) و (رعد) في اللغة البدائية ذات الاقوال المتكونة من كلمة واحدة يمكن أن تفيد التحذير أو الإخبار.( )

فلو أمعنا النظر بالألفاظ المصرح بها في النص (أظفر، آمالي ـ غلّه، قوي، النهي، الأمر) نجدها ألفاظاً صريحةً تضمر في أستارها ذلك الواقع الاجتماعي، فطبيعة الصياغة الفنية تغدو مسؤولة عن خصائص النص فما اضمرته الالفاظ الصريحة السابقة أظفر....

كأن الشاعر كان يتمنى أن يحضى بمرادهِ وآماله كي تشفى علة صدرهِ وكأن قوته التي صرح بها كانت عجز عن الامر والنهي وصولاً إلى رغبته برآيات النصر وهي تخفق في سمائهِ.

أما ابن لنكك البصري (ت: 360ه)( ): "الكامل "

أو ما رأيتَ ملوكَ عصركَ أصبحوا يتجملون بكل قاضٍ أحمق

لا تلق أشباه الحمير بحكمةٍ

موّه عليهم ما قدرت ومخرق

فالأبيات أعلاه غرضها هجاء يعكس الفساد الاخلاقي لذلك المجتمع، وغرض الهجاء يفضح الفساد، بخاصة إذا كان المهجو حاكماً أو قاضياً يرتكب الموبقات، فإذا كان المديح يرسم المثالية الخلقية المقابلة للهجاء الذي يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الرشيد.( )

من هنا يكون "الدخول إلى النص هو مسعى لقلب السحر على الساحر لأنّه كشفٌ للمخبوء، و تقييم للمكشوف، وهذه هي اشكالية النقد الحديث الذي لا يكشف فقط، ولكنه يغطي أيضاً، إنّه يسعى إلى مداهمة النص وقلب موازينه، ثم يشرع بالبحث عن خفايا النص التي حاول الكاتب إضمارها و تغطيتها ، و في مقابل هذا الكشف يسعى النقد إلى تغطية و إلغاء المكشوف أصلا في النص.( )"

فهناك صراع بين الصمت والكلام والمحذوف والمكشوف يصل بالشاعر الى الدوران في دائرة (القاضي - الحاكم – المجتمع)، والسؤال الذي أراد طرحه الشاعر ما هي حلقة الوصل؟

بين ← القاضي

↓

الحاكم ← المجتمع

من نصّبَ القاضي؟ الحاكم ← من رضخ للحاكم الشعب؟

ولنا أن نتصور الصمت والخنوع إلى الحاكم المتسلط هو في المجتع، فالشاعر يهجو المجتمع بشكل واضح في البيت الثاني بوصفهم بالحمير الذين يرضخون بشكل اعمى إلى قائدهم فهذهِ المتواليات الدلالية قد توحي بالسير الهندسي للنص وصولاً إلى الجهل والذي يعُد المسكوت عنه في النص فقد خَيّم الجهل على المجتمع لدرجة لم يعد يتقبل الحكمة .

واما محمد بن بشير الحميري، فقال( ): "البسيط"

لا تيأسن وأن طالت مطالبة

إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى

بحاجته ودائمُ القرع للأبواب أن يلجأ

أبصر لرجلك قبلَ الخطو موقعها

فمن زلقا من غِرّةٍ زلجا

تستحضر هذه الأبيات جانباً من معاناة وأزمات المجتمع إذ يشخص الشاعر هذهِ الأزمات ويعطي الحلول، ومن هذه الحلول الصبر في مطالبة الحاكم فالصابر سوف يحظى بحاجته، وكذلك يدعو الشاعر إلى التأني في اتخاذ

القرارات وهذهِ الصفات كاد الناس ينسونها نتيجة الضغوط التي كانوا يعانون منها بسبب تردي أوضاعهم، ووقوفهم عاجزين عن تغيير ما يحيط بهم من سوء إدارة الدولة، واشتغالها بأمور بعيدة عن مصالح الناس، فالشاعر يرى أن يقوي هذه الخصلة في النفوس، وهي تعبير عن السلوك القويم المعدود من المبادئ السامية الرفيعة، ومن هنا فإن "المبدع المؤثر في حركة الفكر والحياة الذي يعمل على تنمية وعي مجتمعه يبقى محتكما الى ضميره من دون أن يتحول الى متمرد عبثي يعادي ويتمرد، بل يظل ممثلاً لروحٍ آمنة، وحارساً لوعيها وأمنها الثقافي و الفكري من دون أن يفرط في حريته"( )، فالمسكوت عنه هو تقويم المجتمع وتأهيله لاصلاح نفسه والقضاء على فساد الحاكم.

ومحمد بن حازم البهاليت 195هـ، قال( ): "البسيط"

اضرعْ الى الله لا تضرع الى الناسِ

وأقنعْ بيأسٍ فأن العزّ في اليأسِ

واستغن عن كلّ ذي قربى و ذي رحمٍ

إن الغنيّ من استغنى عن الناسِ

فالرزق عن قدرٍ يجري الى أجلٍ

في كفِّ لا غافلٍ عني و لا ناسي

فكيف أبتاع فقراً حاضراً بغنىَ

وكيف أطلب حاجتي من الناسِ

يدعو الشاعر الفرد أن يتسلح بالقناعة لمواجهة الحياة القاسية في تلك الحقبة، فالمرء يصبر على ألم الحياة، ويبدو ثمة أكثر من قناع أو حجاب: "نفسي وقيمي واجتماعي وعقدي يمنعنا من مكاشفة ما نحن فيه، وعليه قد تعودنا طويلا قول ما يجب قوله، وسلوك ما ينبغي الأخذ به فقط لإثبات بأننا على أفضل ما يرام، ونستحق شهادة حسن سلوك بامتياز"( )، فالحديث عن القناعة فيه مسكوتاً عنه هو ترويض النفس من اجل الحصول على مجتمع متكامل ويمكن أن يكون الشاعر مريداً التمليح بدل التصريح لما يكشف عنه النص من مشاعر وانفعالات، فالدلالات الناطقة والصامتة تشكل اشبه ما يسمى بلوحة فنية ذات فنية تنماز بالترابط لشد انتباه القارئ وتوزع ذهنه بين ما هو مكتوب وما هو محذوف.( )

ومن الصفات التي أظهرت المسكوت عنه هي صفة القناعة فنجدها أيضاً عند منصور بن اسماعيل (ت 3.6)( ): "من الرمل "

إن في نيل المنى وشك الردى

وقياسُ القصد عند السرف

كسراجٍ دهنه قوّته

فإذا غّرقَتهُ فيه طفي

يختزن الشاعر في نصه صورة تشبيهية للمصباح، فالمصباح كلما زاد زيته غطاه فأطفأه، وبالمقابل يركز على فكرتين: الأولى تشير إلى القناعة والتحمل والرضا بالقليل من الأشياء أما الاخرى: فتشير إلى أنّه مهما كان الطاغي متسلط وزاد في احتكاره وطمعه سيكون كالسراج الذي إذا أغرقته بزينة انطفأ، فالقناعة تعكس الصمت، وتعكس ثقافة المهمَّش، لأنّ "ثقافة الصمت ترضع من أثداء القهر"( )، وأن "مجتمعات القهر قد نظمت في كل مجالاتها لتخدم ثقافة الصمت"( )، فالقهر "تخدمه وتجسده ثقافة ذات بعد واحد، تكتسح به كل الأبعاد الاخرى، وتكون الثقافة معتمدة على القليل من الكلام الذي يتكرر، وبالمقابل تكون بلاغة الصمت النقيض المباشر والرحب المتنامي لها"( )، فالصمت عكس المسكوت عنهُ لأن في المسكوت عنه نطق ما يخافه الجميع. وقال الطغرائي (ت: 455ه:( )("

من البسيط"

خذ من شبابك صفو العيش مبتدراً

فقد أتاك نذير الشيب يبتدرُ

واستوف حظك من قبل فرقته

بحيث لا أثرٌ يبقى ولا حبرٌ

بقيةٌ من شبابِ بان أكثرهُ

كأنه ليل وصلٍ كاد يتحسرُ

يشير الشاعر في نصه الى التحسر على ذهاب الشباب، ويدعو الى استثمار اللحظات فالدنيا فانية، وبما أن المسكوت عنه يعمل " كمحور ارتكاز تقوم علية علاقة القارئ بالنص، لأنه يستحسن المتلقي على استكشاف الدلالة المخبوءة داخل النص، ويتيح للحركة الذهنية عنده أن تمارس فاعليتها"( )، فالدلالة المخبوءة في هذا النص هي أخذ العبرة، وأنَّ الايام تمر وعليك اغتنام الفرص، ومن جهة أخرى يوحي الشاعر إلى أنَّ ظروف المجتمع مهما كانت قاسية فمصيرها الانحسار، فأين أيام الشباب؟ كما قال( ): "من الكامل"

بادرْ بفرصتكَ الزمانَ ولا

تلبث فأن الموت في اللبث

أن الحوادثَ بين أجنحة الـ

أيام و هي سريعة الحثَ

يتحدث الشاعر هنا عن المبادرة لاغتنام الفرص من دون الوقوف متفرجاً، وقد أغنى الصورة في البيت الأخير، إذ جعل للأيام أجنحة سرعان ما تطير. ولكن ماذا كان يختلج في نفس الشاعر، وما هي وظائف فك الشفرة فمن خلال تبلور الوظيفة الانفعالية حكَمنا على النص من جهة الحكم الاسقاطي على وفق حالات الانفعال، كحكمِنا على هذا الشيء حسن أو قبيح، وهي وظيفة ذاتية عاطفية، على حين تجري الوظيفة المرجعية في نقلها الواقع نقلاً صحيحاً واقعياً في تفاصيله والانعكاس المباشر له( )، والوظيفة المرجعية لنص الشاعر تنحصر في إبراز التقدم والنهوض بالنفس البشرية إلى ما يرقيها في المجتمع لما كانت تلاقيه في المجتمع العباسي آنذاك؛ والمسكوت عنه ابراز ما كانت تعانيه وتلاقيه النفوس في العصر العباسي آنذاك .

ومن المهم الوقوف عند قول ربيعة الرقي (ت: 198ه): "من المتقارب "

ولا تسأل النِّاسَ ما يملكون

ولكن سَل الله واستكفه

ولا تخضعن الى سفلةٍ

وإن كانت الأرض في كفّهِ

تطالعنا أبيات مليئة بالنصح والارشاد تتحدث عن النفس وما يرقيها في المجتمع، فهو يدعو إلى عزة النفس وعدم إراقة ماء الوجه لطلب المال من الحكام وغيرهم.

فالشعْرُ ينبع من ظروف إنتاجه و مخاض لحظة إبداعه من منطقة اللاعقل، فيبدو أنَّ ذل الحاجة دفع الكثير من الشعراء واضطرهم إلى السؤال والمسكنة للحصول على لقمة العيش، وبلغة المسكوت عنه، يشير الشاعر الى الكدية المغلفة بألفاظهِ، فسوء الحال الاجتماعية عكس الواقع الاقتصادي بدفع الشعراء للكدية باسم الشعر، فـ "العلاقة مع الآخر تكون حميمة لا يمكن الفصل بينهما، وتعد موضوعا للإِبداع الأَدبي في الثقافات المختلفة، وقد شغلت الدارسين ودفعتهم نحو البحث فيها، وتقصي أطرافها، وبيان طبيعتها وأصولها المختلفة"( )، ونصل بالنتيجة لتلك الكدية المغلفة بالشعر من جراء ذلك الوضع الاجتماعي.

اما سبط بن التعاويذي (ت: 584ه)، يقول( ): "من مجزوء الرجز"

إلى متى جفونكم

على قذاها مغطيةْ؟

وكم تموتون بأد

واء الهموم المدويةْ؟

دعوا المديح، و ابردوا

صدوركم بالأهجيةْ

فذم أولاد الزنا

فيه بعضُ التسليةْ

تثير الابيات في نفس المتلقي تلك الصورة البائسة للشعراء في ذلك العصر، والتي دفعتهم أن يتاجروا بشعرهم طلباً للمال، وتقرّباً من السلطان المستحق للهجاء لا المدح، ومهما كان صدق المشاعر أو عدمها بين الأنا والآخر فالشعر كان الخطوة التي يلجأ اليها الأنا بغية الوصول الى السلطة في المستقبل، و" كل تفكير في المستقبل هو في جزء منه على الأقل عبارة عن بناء علاقة جديدة مع الآخر أي الطرف المزاحم في الماضي والحاضر، أحدهما أو كليهما، فضلاً عن المنافس في المستقبل"( )، و هذا يتحقق بالسعي لمعرفة الآخر " فأعلا نوعية للسلطة إنما تأتي من استخدام المعرفة ... تجعل الطرف الآخر يميل الى خطتك بشأن عمل أو تصرف ما"( )، "فالأغنياء من عاداتهم التسلط على الناس والاستخفاف بهم، و يعتقدون في أنفسهم بأنهم كنز بكل الخيرات، فأنهم لمّا ملكوا المال الذي هو سبب القدرة على تحصيل المرادات، فكأنهم ملكوا كل الأشياء، ولمّا اعتقدوا حصول هذا الكمال لهم، لا جرمَ كانوا محبين للثناء الجميل راغبين فيه"( )، فكان ثناءُ الناس لهم يختلف من شخص لآخر، وكان للشعر النصيب الأوفر في الثناء عليهم، والشعر كما عهدناه، هو فعل مراوغة عن الواقع فهو " كالحلم كل شيء فيه ممكن"( )، فالشاعر يشير الى مراوغة الشعراء لذلك الواقع لكي يقاومون سلبيات الحكام، و صعوبة العيش كذلك، فالشاعر يشير من بعيد إلى وجوب مقارنة الحاكم المتسلط كذلك وجوب القضاء على آفة التملق التي يمارسها الشعراء.

أما ديك الجن (ت: 235ه)، فيدعو الحفاظ على النفس وإبائها، إذ قال( ): "البسيط"

لا تقف للزّمان في منزل الضّيـ

م ولا تستكنْ لرقة حالِ

و إذا خفت أن يراهقك العدمُ

فعذ بالمثقّفات العوالي

و أهنْ نفسك الكريمة للموتِ

و قحّمْ بها على الأهوالِ

فلعمري للموت أزينُ للحيّ

من الضّرّ ضارعاً للرّجالِ

مع بزوغ فجر الدولة العباسية نشأت معايير جديدة لتحديد الآخر وأهدافه ونشاطه الاجتماعي، فالعربي عُرف بترفّع نفسه عن كل ما يهينها، وكما يبدو أن ظروف الحياة القاسية أحبط من همم النفوس، فوجهتها إلى أمور ابتعدت بها عن الفضائل، وهذا يعكس تفكك المجتمع العباسي آنذاك، فعندما تخلص الرؤيا الى مصَبّها الاخير الأمر الذي يفسر لنا توظيف الشاعر لفكرة الموت والتي بدورها اوضحت تدهور لقيم المجتمع من جراء ذلك الوضع الاقتصاديه المتردي.

أما ابن بسام (ت: 302 ه) فقال :( )

واصل خليلك إنما الد

نيا مواصلةُ الخليلِ

و دعِ العدوّ فإنّه

سيملّ مِنْ قالٍ و قيلِ

و أنعمْ و لا تعجّل الـ

مكروه مِنْ قبل النّزولِ

بادرْ بما تهوى فما

تدري متى وقتُ الرحيلِ

و أرفض مقالة لائمٍ

إنّ الملام مَن الفُضُولِ

جعل ابن بسام الصداقة ومواصلة الخليل مفتاحاً للحديث عن صفات لها الأثر في المجتمع، والسؤال هنا ما الذي دعا الشاعر الى هذه دعوة؟ وكأنه مصلح اجتماعي، إذ دعا الى التكاتف والتعاون ومواصلة الخليل، وهذا السؤال يحيلنا الى سؤال آخر وهو متى يدعو الشخص الى الوحدة والتكاتف؟ الجواب في وقت الأزمات فعندما يدعو الشخص إن شاعراً أو شخصاً من عامة الناس إلى الوحدة والتكاتف، فهذا يشير إلى انحسار العلاقات الحميمية في المجتمع العباسي بسبب ما جرى من ويلات و نكبات سياسية واجتماعية، ومن الواضح أنَّ "مفهوم الآخر يبدأ بالتشكيل تدريجيا لدى اللإنسان سواءً على مستوى الوعي أو اللاوعي منذ أنْ يبدأ الإنسان التعرف على ذاته، إذ يرى (لاكان) أنَّ المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حين يرى صوراً في المرآة، فإنَّه لا يزال يستبدل صورة الآخر بنوع من (الأنا)، لكنه تدريجياً يدرك أن الصورة محض خارجية بالنسبة للذات، ومن هنا يصبح حقاً فرداً مدركاً ومادة يدركها"( )، وكأن الشاعر أراد رسالة كشفت هنا قراءة المسكوت عنه إلا وهي الدعوة لإصلاح المجتمع المفكك جرّاء السير والانجراف خلفَ السلطة.

أما الصرصري (ت: 656ه)، فقال( ): "من الكامل"

لا تلق حادثةً بوجهٍ عابس

واثبتْ وكن في الصبر خير منافسِ

فطالما قطف اللبيبُ بصبره

ثمر المنى وإنجاب ضُرَّ البائسِ

وعليك بالتقوى وكن متورعاً
بلباسها فلنعم درع اللابسِ

وتتبع السّنن المنيرة وأطّرح
متجنّباً إفكَ الغويّ اللابسِ

وأغرسْ أصول البّر تجن ثمارها
فالبُر أزكي منبتاً للفارسِ

وأطلب نفيس العلم تستأنس به
فالعلم للطلاب خير مؤانسِ

لا تُكثرنّ الحرص في الدنيا وكن
في العلم أحرص مستفيد قابسِ

فالمال يحرسه الفتى خوف النوى
والعلم للانسان أحفظ حارسِ

و إذا شهدت مع الجماعة مجلساً
يوماً فكنْ للقوم خير مجالسِ

ألن الكلام لهم وصُنْ أسرارهم
و ذر المزاح و لاتكنْ بالعابسِ

تظهر لنا أبيات الصرصري الدعوة للمحافظة على الصفات الأصلية فأسلوبه أشبه بأسلوب الوعاظّ والمرشدين للحفاظ على القيم الإنسانية الأصيلة التي تشد من أواصر المجتمع كما إنَّ "الذات الإنسانية الشاعرة هي التي تحدد موقعها من الأشياء والأحداث والاشخاص"( )، لأن المحيط البيئي يمثل ملامح الخصوصية التي تشكل لهويته الثقافية( )، ومن ثمَّ تكشف لنا قراءة المسكوت عنه الملامح الحضورية، و التي تعكس الهوية الثقافية للشاعر و حرصه على محاربة آفاتٍ كادت تفتك بالمجتمع العباسي من انعدام للأواصر والأخلاق والقيم، فهذه الأبيات ماهي الا جرس انذار يقرع لهولِ الحادثة المجتمعية آنذاك.

نتائج البحث:

1. ان الوضع الاجتماعي في العصر العباسي امتاز بالبؤس والفقر والقهر فعكس ذلك على اغراض الشعراء فكانوا يخلقون مفاهيم الحياة التعيسه التي يعيشونها في خطابات تَمثل الشكوى والمعاناة .

2. يوظف البحث الخمرة كونها الدافع الرئيس لتعبير الشاعر عما يجول بخاطره من تعب وضنك العيش وشقاء وتشبيه بحاله السكر التي تنتابه.

3. لجأ بعض شعراء العصر العباسي الى اساليب السخريه والنكت الاجتماعي في كشف معاناة الناس وبؤسهم.

4. انعطفت الاغراض الشعريه بحسب انقلاب القيم الاجتماعية والاخلاقية في المجتمع فانحدرت بذلك اساليب الشعر نحو الرذيلة وترخيص القيم الاخلاقية

5. وظّف الشعراء مفاهيم الصبر والبخل والقناعة في اغراضهم الشعرية بغية اصلاح ما يمكن اصلاحه من قيم اجتماعية.

الهوامش:

1. ينظر: الأنسنة في فكر محمد أركون /283.

1. المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي/10-11.

1. ينظر: النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة /112.

1. ديوان أبي دُلامة / 55.

1. الرؤيا في شعر البياتي/ 146.

1.ينظر: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية/ 124.

1. أسامة بن منقذ (حياته وشعره) / 161.

1. ينظر : الرواية البوليسية، عبد القادر شرشار: 136.

1. جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة/121.

1. ديوان ديك الجن / 155.

1. ينظر: الشعوبية وشعراؤها/ 267.

1. الشعر والشعراء/124 .
1. الموشي/ج6 /134.
1. نظريات القراءة في النقد الأدبي/24.
1. لزوم مالا يلزم /ج601/2.
1. النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري/270.
1. الصورة في شعر بشار بن برد /ج4 /138.
1. شعر العطوي/78.
1. ينظر: العصر العباسي الثاني/161.
1. ديوان بشار/ج127/4.
1. ينظر: الوزراء والكتاب/110.
1. م.ن/95.
1. المسكوت عنه في نهد البلاغة/490
1. ينظر: اتجاهات الشعر/191.
1. ديوان أبيبروبية الصولي/538.
1. زهر الآدب/ج538/1.
1. الشعر والشعراء/ 287، وينظر: امراء الشعر العربي/130.
1. م.ن/ 289.
1. المستطرف في كل فن مستظرف/130.
1. الكتابة ضد الكتابة/ 8-9.
1. تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري/59.
1. الحماسة الشجرية/ ج938/2.
1. ينظر: ظهر الاسلام/ ج98/1.
1. لزوم ما لا يلزم/ج1، 2، 3/ 373.
1. أدب الزهد في العصر العباسي/198.
1. ينظر: الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري/224.
1. ديوان أبو بكر الخوارزمي مع دراسة لعصره وحياته وشعره/223 .
1. شرح ديوان المتنبي/224 .

1. ينظر: مشكلة الحرية (مشكلات فلسفية معاصرة)/ 260.

1. ديوان ابن الرومي ت (283هـ) / 288.

1. تنظر: الهجاء عند ابن الرومي/ 288-289.

1. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر /ج 3 /376.

1. ينظر: ما الخطاب وكيف تحلله /216.

1. أبو دلف الخزرجي / 23.

1. ينظر: نظرية الادب/ 72.

1. شعر ابن لنك البصري/5

1. ينظرالعصر العباسي الاول/ 167.

1. الكتابة ضد الكتابة /8-9.

1. المحمدون من الشعراء/ 16-162.

1. الحرية وآفاق الابداع /65.

1. ديوان محمد بن حازم الباهلي / 204.

1. الشبق المحرم/ 2-3.

1.الخطاب الشعري العربي المعاصر من التشكيل السمعي الى التشكيل البصري (أطروحة) /188.

1. نكت الهميان في نكت العميان/ 298.

11. أفكار لأزمنة الحرب والموت /15.

1. الحرية: لماذا وكيف؟ قراءة في كتاب تعليم المقهورين/42.

1 . جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت / 42.

1. ديوان الطغرائي/ 165.

1. جماليات التلقي في السرد القرآني/ 286-287.

1. ديوان الطغرائي/ 160

1. ينظر: أساسيات اللغة، / 53.

1. الخطاب النقدي عند اديسين : قراءة الشعر أنموذجا /44.

1. ديوان سبط بن التعاويذي/ 461.

1. تداعيات الذات في الشعر الاندلسي/ 18.

1. تحول السلطة / 31.

1. النقد الثقافي/ 188.
1. علاقات الحضور والغياب في شعر الأدبي/ 6.
1. ديوان ديك الجن/ 121.
1. شعراء عباسيون، مجلد 15/ 111.
1. ينظر:بجاك لاكان وأغواء التحليل النفسي/ 22.
1. ديوان الصرصري/ 243.
1. تداعيات الذات في الشعر الأندلسي / 83.
1. ينظر: إشكالية المكان في النص الأدبي/55.

المصادر والمراجع:

1. أبو دلف الخزرجي، الرسالة الثانية، تحقيق محمد بن منير مرسي، القاهرة، 1970م.
2. أدب الزهد في العصر العباسي – نشأته وتطوره وأشهر رجاله- ، عبد الستار السيد متولى، (اطروحة دكتوراه)، جامعة أم القرى، السعودية، 1972م.
3. أساسيات اللغة، رومان جاكوبسن، موريس هالة، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط1، 2006 .
4. أسامة بن منقذ (حياته وشعره): حسن عباس، الهيأة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، د.ت.
5. إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير دار الشؤون الثقافة، بغداد، ط1، 1986م.
6. أفكار لأزمنة الحرب والموت، سيغوند فرويد، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ط1986،3م
7. امراء الشعر العربي في العصر العباسي: انيس المقدسي، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1969م
8. الأنسنة في فكر محمد أركون، كيحل مصفى، منشورات ضفاف، 2014.
9. تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري،د. محمد زغلول سلام، مطبعة المعارف، القاهرة.
10. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، امبرتو ايكو، ترجمة: سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربيي، 2004م.
11. الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري، دراسو أسلوبية، د. علي عبد الإمام الأسدي، ط1، تموز للطباعة والنشر، دمشق، 203م.
12. جماليات التلقي في السرد القرآني، يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق – سوريا، ط1، 2010م.
13. جماليات الصمت في أصل المخفي والمكبوت، إبراهيم محمود، مركز الإنماء الحضاري، دمشق – سوريا، ط1، 2002م.

14.جماليات النص الأدبي (دراسات في البنية والدلالة)، مسلم حسب حسين، دار السياب – لندن، ط1، 2007م.

15.الحرية وآفاق الابداع، محمد صالح الشنطي، مجلة عمان، عدد (120)، 2005م.

16.حرية: لماذا وكيف؟ قراءة في كتاب تعليم المقهورين "باولوميرايري" في مجلة المعرفة السورية-عدد (327)،1990.

17.الحماسة الشجرية، ابن الشجري، تحقيق عبد المعين الملاحي وأسما الحمصي، دمشق، 1970.

18.الخطاب الشعري العربي المعاصر من التشكيل السمعي الى التشكيل البصري (أطروحة) /188.

19.الخطاب النقدي عند اديسين : قراءة الشعر أنموذجا

20.ديوان ابن الرومي ت (283هـ)، شرح وتحقيق: عبد الامير مهنا، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، لبنان،1998م.

21.ديوان أبو بكر الخوارزمي مع دراسة لعصرهوحياته وشعره، تحقيق وتقديم د. حامد صدقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الاولى، 1997م.

22.ديوان أبي دُلامة، شرح وتحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الجبل، بيروت، 2005

23.ديوان أبيبروبية الصولي،تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1980م.

24.ديوان الصرصري، تحقيق د. مخيمر صالح، ساعدت جامعة اليرموكعلى نشره، د.ت.

25.ديوان الطغرائي: تحقيق د. علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبوري، مطبعة دار الحرية، بغداد، 1976م.

26.ديوان بشار، نشر وشرح الاستاذ محمد الطاهر ابن عاشور، راجعه وصححه محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966.

27.ديوان ديك الجن، تحقيق د. احمد مطلوب وعبد الله الجبوري، دار الثقافة، بيروت، د.ت

28.ديوان سبط بن التعاويذي: اعتنى بنسخه وصححه: د.س. مرجايوث، طبع بمطابع المقتظف، مصر، 1903م

29.ديوان محمد بن حازم الباهلي، مجلة المورد، 1977، مجلد6، عدد2.

30.الرواية البوليسية، (بحث في النظرية والأصول التاريخية والخصائص الفنية وأثر ذلك في الرواية العربية)، عبد القادر شرشار، من منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

31.الرؤيا في شعر البياتي، محي الدين صبحي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، 1986م.

32.زهر الآدب وثمر الالباب، ابراهيم علي الحصري القيرواني، تحقق د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 20

33.الشبق المحرم: (انطولوجيا النصوص الممنوعة)، إبراهيم محمود، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2002م.

34.شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 1407هـ-1986م.

35.الشعر والشعراء، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قدم له الشيخ حسن تميم، دار احياء العلوم، بيروت، 1987.

36.شعراء عباسيون: د. يونس السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبقة الثانية، 199.م/ج474/2، ابن بسام حياته وشعره مجلد 15/ 111.

37.الشعوبية نشأتها وتطورها، د. نزار عبد اللطيف الحديثي، وسعد عبد اللطيف الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990.

38.الصورة في شعر بشار بن برد، د. عبد الفتاح صالح نافع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983 /ج138/4.

39.ظهر الاسلام، أمين أحمد، لاط1، الفقه المصرية، د.ت.

40.العصر العباسي الاول، شوقي ضيف، ط4، دار المعارف بمصر،1972م/ 167.

41.العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ط3، دار المعارف بمصر، 1977م/161.

42.علاقات الحضور والغياب في شعر الأدبي،.

43.الكتابة ضد الكتابة: عبد الله الغذامي، دار الآداب – بيروت، ط1، 1991 /8-9.

44.لزوم ما لا يلزم، أبو العلاء المعري – احمد بن عبد الله بن سلمان، شرح نديم عدي (ت449هـ)، ط1، 1986، دار طلاس. دمشق.

45.ما الخطاب وكيف نحلله: عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، 2009.

46.المحمدون من الشعراء وإشعارهم، القفطي، تحقيق: حسن معمري، دار اليمامة، الرياض، 1970.

47.المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن احمد الأشيهي، ط1 الاخيرة، دار احياء التراث العربي.

48.المسكوت عنه في نهج البلاغة، دراسة في ضوء تحليل الخطاب، فراس تركي عبد العزيز، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كربلاء، 2017م.

49.مشكلة الحرية، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.

50.المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، 2004م

51.الموشي، الوشاء (ت325هـ) ، طباعة دار صادر، بيروت، 1965م.

52.النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة، عبد السلام الزبيدي، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012م.

53.نظرية الادب، أستن واريث- رينه ويلبك، ترجمة: محي الدين صبحي، د. مسلم الخطيب، مطبعة خالد الطرابيشي، 1392هـ-1972م.

54.النقد الاجتماعي في آثار أبي العلاء المعري، د. يسرى سلامة، مط دار المعارف – القاهرة، 1971.

55.النقد الثقافي، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي، بيروت – لبنان، 2005م.

56.نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين الصفدي، وقف على طبعه احمد زكي، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1911م.

57.الهجاء عند ابن الرومي: عبد الحميد محمد جيد، طباعة المكتب العلمي للطباعة والنشر، بيروت، 1974م.

58.الوزراء والكتاب: الجهشياري (ت 296هـ)، طباعة دار الصاوى للطباعة والنشر، القاهرة، 1938م.

59.يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1956م.